

اتجاه التفصيح اللغوي في الدرس المعجمي الحديث

د. علي خلف العبيدي ، أ. د. ساجدة مزبان حسن

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين الذي أبان بنفسه عن نفسه بلسان عربي فصيح والصلاة والسلام على سيد البرية النبي العربي وعلى آله وصحبه المنتجبين أجمعين أما بعد

فإن الدرس المعجمي العربي رائد الدراسات المعجمية في العالم ، قديماً وحديثاً ، وقد أسس فضاء علمياً واسعاً مترامي الفروع والتخوم ، وقد أنتج كثيراً من المعرفة بمختلف أنواعها وأنساقها عبر التاريخ ليشكل محفلاً علمياً ثراً وخصباً . ولعل هذا البحث يُعنى برصد مسار حركي من مسارات النتاج المعجمي العربي متجلياً ومتمثلاً باتجاه التفصيح اللغوي الذي يرمي الى بيان صلة عربيتنا المعاصرة بالعربية الأم التي عاشت في خيام البداوة وربوع القصور في الحقبة التاريخية الممتدة من جاهلية القوم والى زماننا الحاضر ، ولا ندعي السبق في هذه المحاولة أو الابتكار . وإنما جدة التناول والمعالجة في رصد مسارات هذا الحراك المعجمي التاريخي الذي مرّ به الدرس المعجمي العربي . وقد سار البحث في معالجته في مسارين الأول: نظري عالج الأسباب والروافد التاريخية التي جاءت منها الكلمات الفصح في عربيتنا المعاصرة التي يجمع الخلق على التحدّث بها في البلدان العربية على اختلاف أنماط أدائها وجاء المسار الثاني لمعالجة تطبيقية لكلم رصده الدارسون المحذوثون رأينا من الضرورة أن نناقشه ونقف عنده وقفات معجمية تحليلية تسهم في بيان بعض الأمور التي عالجهها الدرس المعجمي الحديث وبها حاجة الى إعادة نظر وبيان.

لا نجانب الصواب - بل من المؤكد ذلك إذ نظرنا الى العامية على انها مستوى لغوي نشأ متلازماً مع الفصحى ، وإذا ما اعترض معترض على ذلك وجدنا السبيل إلى نقاش اعتراضه بنحو من الكلام القائم على الدليل العلمي السليم ، إذ لم تكن اللهجات القديمة إلا صورة لما يعرف اليوم بالعاميات مع أننا لا نعلم القول في هذه المسألة كون كثير من تلك اللهجات كان مستوى فصيحاً لا يخالف معيار الفصاحة الذي تواضع عليه علماء اللغة القدامى ... ولسائل أن يسأل : كيف لك أن تذهب هذا المذهب ؟ وكيف تعد اللهجة من ضروب العامية وألوانها ؟ فاقول : إن اللهجة في أوجر تعريف لها هي مستوى لغوي معين له خصائص معينة يمتاز بها (١). وهي أي العامية من بعد ذلك (ظاهرة لغوية لا بد أن تقف عليها ومضة خاصة)(٢).

وقد غالى بعض الدارسين وتعصب في الدعوة الى احلال العامية محل الفصحى ، وهذا أمر مرفوض لا يقبل به منطق سليم ، أو عقل معافى والذي نريد الخلوص إليه هو دراسة اتجاه معجمي بات سائداً في الدراسات المعجمية في العراق ، ذلك هو (اتجاه التفصيح اللغوي) أي رصد الكلم الفصيح في العاميات الدارجة ، ورده إلى أصوله الفصيحة ، وهو لا يتعد في أن يكون ضرباً من ضروب التثقيف اللغوي ، ولعل أول من شرع في نمو هذا الاتجاه هو الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه الموسوم بـ(رد العامي إلى الفصح) وكذلك الدكتور ابراهيم السامرائي في بحثه (ما حفظته العامية من الفصح المنسي) والدكتور عبد الله الجبوري في كتابه (تطور الدلالة المعجمية بين العامي والفصح) والدكتور عبد المنعم سيد عبد العال في (معجم الالفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية) .

وهذا الاتجاه المعجمي حقيق فصيحة لا غبار على فصاحتها ، والذي بالدراسة ، جدير بالعناية ، لأنه ينبغي ذكره هنا هو موارد العامية العراقية التي تمثلت ب: يقف على حقيقة كثير من الألفاظ ، والتعبيرات التي ظن بها العامية ، وهي ١ . العامي الذي كان أصله من السامي ٢ . ما كان أصله دخيلاً مقترضاً من اللغات الأخرى غير الجزرية . ٣ . ما كان أصله فصيحاً ونسي في

الفصحى حفظته العامية.

٤. ما كان أصله من المعربات ، قديماً وحديثاً ، ولاسيما ما يتعلق بالألفاظ الحضارية ، والمخترعات ، والمبتكرات الأجنبية .

ولعل غاية هذا الضرب من الدرس أي : التفصيح اللغوي هي : التنبيه إلى الكلمات الفصحى التي يتوهم كثير بأنها عامية ، على الرغم من وجودها في القرآن الكريم ، أو الحديث النبوي الشريف ، أو في نصوص الشعر والنثر أو صفحات المعجمات المختلفة (٢).

كذلك يمكن القول : إن من غاياته التنبيه إلى الكلمات الفصيحة التي حرّفت العامة لفظها ، أو غيرت معناها (٤).

وهذا النص يجلو لنا جملة من الملحوظات المهمة التي ينبغي الوقوف عليها بتأمل وروية وهي :

١. إن ألفاظ العامية تظهر عليها آثار التطور اللغوي في مظهرين الأول لفظي (صوتي أو بنائي) ، والثاني دلالي ينتج عن حدوث انحرافات دلالية في الدلالة الأصلية للفظة .

٢. إن غاية ما يرمي إليه هذا الضرب من الدرس اللغوي هو إظهار الكلمات التي انسلخت بمرور الزمن وتقادم العهد ، وكثرة التطورات من الفصيحة لتلتحق بركاب العامية ، ولعل الوقوف على هذا الأمر يؤدي إلى نتيجتين هما : أ- رصد ما ضاع من الكلم الفصيح في العاميات الدرّاجة ، وإعادته إلى مكانه الصحيح .

ب- استثمار العامية في إحياء الألفاظ

الفصيحة التي هجرتها الفصحى.

وقد عُني اللغويون القدامى بهذه الظاهرة حتى شاع عندهم استعمال مصطلحات بينها للدلالة عليها كقولهم: فصيح ، وعامي ، وعامي مرذول ومن ألفاظ العامة إلى غير ذلك مما يدل على شيوع ظاهرة العامية قديماً إلا أنهم على الرغم من تلك العناية لم ينحوا في دراساتهم ، ومعالجاتهم منحى تفصيحيّاً في ردّ ما كان شائعاً على أسنة العوام إلى أصوله الفصيحة التي التفت إليها الدارسون المحدثون فيما بعد على نحو ما ستجولوه ورقات هذا البحث ، وهذا يدلّ على أن المنحى التفصيحي بمفهومه المعاصر كان غائباً في الفكر العربي القديم بله حتى المنحى التأصيلي اللهم ما خلا عزو كثير من الألفاظ المرّعبة إلى أصولها الفارسية والرومية وغيرها ، وعلى الرغم من عدم دقة ذلك التأصيل على نحو ما أثبتت الدراسات اللغوية الحديثة .

لقد أنصرف الدارسون المحدثون إلى العناية بالعامية الدرّاجة أو ما يعرف بـ(العامية) فنظروا فيها ، وكتبوا في موادها ، وتاريخها اعتقاداً منهم أن ذلك شيء تحمله عليه عنايتهم بالفصيحة (٥).

وهذا يوحي أن العناية بالعامية كانت غايتها إفادة الفصيحة منها في تتبع تاريخ تطور الكلم ودلالاته عبر رحلته مذ أزمان بعيدة ، فضلاً عن إيجاد تقارب وتواشج بين الفصيحة وبين عامياتها المتنوعة .

إنّ العناية بتفصيح الألفاظ

العامية يحقق جمهرة من الغايات من أظهرها :

أ- إحياء الكلم الذي مات في الفصيحة ، وبقي حياً في العامية .

ب- تتبع تاريخ الكلم ، فضلاً عن رصد مراحل تحوله من الفصيحة إلى العامية .

ت- تبصير مستعمل اللغة بأن نسبة وافرة من كلامه الذي يتداوله في حياته اليومية هو كلام فصيح ، وإن اختلفت طرائق نطقه ، ودلالاته .

ث- يراجع ذلك الكلم العامي إلى أصله يمكن أن نؤسس لفكرة (العامية الفصيحة) أو ما يعرف بـ(العربية المعاصرة) التي هي خليط / مزيج من الفصيحة والعامية ، وغربلة العامي وتركه على حاله ، والتنبيه على ما يستعمل في تلك العربية من فصاح العامية .

ج- ويذهب الدكتور عبد الله الجبوري إلى أن العامية العربية راقد عظيم من روافد دراسة تاريخ العربية الفصيحة وتطورها ، كما أن مادة العاميات العربية هي من أصول دراسة التطور الدلالي ، كذلك تفيد هذا الضرب من الدراسة أثبات أصالة كثير من الألفاظ والكلمات التي هجرت أوضاع شيء منها ، وحفظته العامية (٦). كذلك يذهب إلى القول : بأن كثيراً من الألفاظ الاعجمية توافرت عليها العامية العراقية عامّة ، والعامية البغدادية على وجه الخصوص هي من أصول عربية كانت شائعة فيها ثم اندثرت في تراخي الزمن بعد أن استقرت في

(جسس) والجسس هو الضغط بالأصبع

وقد نبّه الزبيديّ في هذه المادة على توليد لفظي، سببه المجاز الذي علاقته المكانية بقوله: (الجَّعْسُ: الرَّجْعُ، مؤلّد نقله الجوهريّ) (١٢)، وبطريق المجاز الذي علاقته المكانية أصبحت هذه اللفظة تُشير إلى ذلك الرَّجْع، أي تسمية الشيء باسم مكانه، وهو أمر ليس بغريب عن العربية، فكثيراً ما يُكنّى عن ألفاظ العُدّة باسم مكانها. وكذلك الجسس والجسسوس هو القصير الدميم ويقال: جُعشوش ويقال هو من جعسايس الناس: قال عمرو بن معد يكرب:

تداعت حوله جشم ويكر

وأسلمه جعسايس الرباب (١٣)
لذا عدّ استعمال (الجَّعْس) فصيحاً ليس بمولّد؛ لأنها لا تختلف عن الألفاظ الأخرى التي قبلت ولم توصف بالتوليد عند كثير من علماء العربية ومنهم ابن سيده (١٤).

سربت :

مما يستدرِك على الأستاذ الجبوري (١٥) الفعل (سربت) بمعنى ترك ومنه (مُسْرَبَت) المتروك وعرضه لاستعمال الغير، وهو كذلك صفة الإنسان سيء الخلق المنبوذ الذي لا يتحلّى بالأداب العامة، كأنهم شبّهوه بالشيء المهمل المتروك.

أقول وللمجتمع دور كبير في توجيه الإنسان وإصلاحه، فإن أخطأ وظل المجتمع ينظر إليه بعين الخطيئة فسيكون الإنسان قابلاً في سجن لا يراه

دراسة تحليلية لبعض ألفاظ الفصحح المنسي :

يجدر بنا ونحن بشأن معالجة اتجاه التفصيح اللغوي أن نقف على جملة من الألفاظ التي وردت في معجمات التفصيح اللغوي التي في هداها يمكن أن نخلص إلى جمهرة من النتائج المهمة في مجال تطور الكلم من جوانبه الصوتية والدلالية هذه الألفاظ طرأ عليها من تطورات أضفت إلى تهجيرها من الفصيحة كي تستقر أخيراً في العامية وتعدّ منها ومن هذه الألفاظ:

الحواشي :

كلمة إصلاحية ترادف ما معروف في منهج البحث الذي يسمى بالهامش ومن الجدير بالذكر أن الهامش نفسه قالوا فيه مؤلّد (الهامش: حاشية الكتاب، قال فيه الصاغاني: يُقال كَتَبَ عليّ هامشه، وعلى الهامش، وعلى الطرة، مؤلّدة (١٠). مما حدا بعض اللغويين على أن يشدّد بأن تقول الحواشي وليس الهوامش، وفي الحق أنّ الحواشي يمكن أن تكون كتباً بحالها كما هو موجود في النحو مثل (حاشية الصبّان على الاشموني) و(حاشية يس على التصريح) إلى غير ذلك.

بينما الهوامش تكون أغلب الأحيان عبارة عن تخريجات، ومنهم من يجعل الهوامش ضمن المتن مع تنصيصها.

الجَّعْس :

يقول الأستاذ عبد الله الجبوري (١١) إن (جعص) من

لغات أعجمية كانت قد استعملتها في زمن غابر، ثم عادت إلى العربية بعد ظهور الإسلام، ومنها كثير مما قيل له (دخيل أو معرب) ومن هنا تسرّع باحثون، ولغويون إلى عزوها إلى الدخيل والمعرب (٧).

إنّ هذا الذي ذهب إليه الدكتور لا يمكن قبوله على ما فيه من إطلاق وتعميم، لأنه ليس من المنطق أن نعدّ كما وافراً مما استقر في العربية دخيلاً أو معرباً أنه عربي كما فعل حين عدّ كلمة (بنك) الانكليزية عربية بحتة (٨).

كما لا ينبغي أن نسلم لهذا النحو من التأصيل الذي ينفي عن كثير من الكلم المعرب والدخيل عجمته إذ ورد في معجمات تلك اللغات الاعجمية وثبت أنه منها، أصلاً وفعراً. كما أقر ذلك أهلها، ودارسوها.

ولعل مسوغ ما ذهب إليه الدكتور الجبوري في هذا الشأن هو الرأي التوفيقي بشأن ما ورد في القرآن من ذلك المسمى (دخيلاً أو معرباً)، وهو ما ذهب إليه من قبل الامام السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه الاقتان في علوم القرآن إذ قال: ((والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألصقتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فصادق)) (٩).

إلا هو .

ومن المفيد لو أشار الأستاذ الجبوري إلى قول أبي العائض الأسدّي في معنى سربه إذ قال :
أمس الفراش مطيتي
ولقد أراني خير فارس
زولا أفيء غنيمة

في سربة والليل دامن
وحسناً لو أشار إلى الاستعمال القرآني لمادة (سرب) إذ (السَّرْبُ) بمعنى البيت كما في قوله تعالى: (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) (١٦) .
ومن الأمثال : (عنده بالسربة خيال) يقال لمن له حصّة في شيء (١٧) .
ويقال الآن: (تسرب) مقصود أو عرضي لمعلوماتية معينة إلى جهات معينة قبل وصولها إلى الجمهور وتعني بالانجليزية (Leakage) .

ومن اصطلاح أهل التربية والتعليم قولهم (تسرب من الدراسة) بمعنى تخلف عنها وتركها وهو من (تسرب) بمعنى (تسلل) خارج نطاق الدراسة .
لفظة (سربت) فصيحة توهم أنها من العامي وليس أدل على ذلك من وجودها في القرآن الكريم . ويمكن أن يقال إن اللهجة العامية أحييت هذا اللفظ بعد أن هجرته الفصحى .

السوالف :

ورد في كتاب الاختيارين للأخفش الصغير بيت طفيل بن عوف قوله :
بالعقر دار من طفيلة هيجت
سوالف حب في فؤادك منصب
فالسوالف معناها السوابق أي الأحاديث السابقة وهي بهذا من

الفصح الذي حفظته العامية (١٨) .

شيب :

قال الأستاذ الجبوري في جمع (شايب) بكير السن (شيبان) (١٩) .
أقول : الذي اسمعه وسمعته في جمع شايب هو (شَيَاب) وقد يكون ما ذكره الأستاذ الجبوريّ ذا حظ من الصحة .

وقد أشار الزبيديّ في هذه المادة إلى توليد معنوي ، باستعمال لفظة قديمة لمعنى جديد ، بقوله: ((تطلق الشيبُ على اللحية الشائبة . قال شيخنا : وهذه عُرفيّة مؤلّدة لا تعرفها العرب)) (٢٠) .

لفظة الشيبية وردت عن العرب مرادفة للشيب ، فهي وإن كانت بلفظ المفرد استعملوها بمعنى الجمع ثم ضيق المتأخرون دلالة هذه اللفظة فأصبحت تطلق على اللحية الشائبة ، بعد أن كانت تدل على الشيب بشكل عام .

استنى :

شاعت في اللهجة المصرية هذه اللفظة والحق أنها من الفصح مع شيء من التحوير الذي طرأ على بنيتها .

يقول ابن منظور: ((تأنى في الأمر أي ترفق وتطرأ واستأنى به أي انتظر به يقال استنوني به حولا ، ويقال : تأنيتُك حتى لا أناة بي ... قال أبو بكر في قولهم تأنيت الرجل أي انتظرته وتأخرت في أمره ولم أعجل .
ويقال : إن خبر فلان لبطيء أني

... ومن هذا يقال : تأنى فلان يتأنى ، وهو متأن إذا تمكّت وتثبت وانتظر)) (٢١) .

فكلمة (استنا) بلهجة أهل مصر لها جذور فصحية كما هو واضح من كلام ابن منظور المذكور سلفاً .

خلاصة البحث ونتائجه

١. نهض البحث على أساس فكرة مهمة للغاية هي أن كثيراً من الكلم العربي الفصح نسيته الفصحية واحتضنته العامية، وهذا بالتالي يقودنا إلى القول: إن العامية لها فضل في حفظ كثير من الكلم الذي ظل سابتاً في بطون المعجمات التراثية وقد بعثت فيه الروح العاميات الدراجة ولاسيما العامية العراقية التي هي أقرب ما تكون إلى اللغة الفصحية.

٢. بين البحث أهم موارد العاميات، ولاسيما العاميات العراقية مما يدعو إلى دراسة هذا الاتجاه اللغوي في عمل علمي أكاديمي رصين لكي يبرهن على مدى صلة العامية العراقية بأماها الفصحية.

٣. إن التغيرات التي أدت إلى أن يحسب الكلم الذي عالجته كثير من كتب ودراسات التفصيح اللغوي مردها إلى أسباب صوتية ودلالية محضة.

٤. إن إهمال الكلم الذي حفظه العامية من الفصح قد يؤدي إلى ضياع تراث لغوي كبير، يمكن الاستفادة منه في فهم كثير من السلوكيات الاجتماعية اللغوية التي قد يكون غالبها ذا تأثير سلبي مثل قولك

- (١٦) سورة الكهف: ٦١ .
 (١٧) ينظر: دراسات: ٢٦٥ .
 (١٨) ينظر: كتاب الاختيارين: ٢ تحقيق
 فخر الدين قباوة ، مؤسسة الرسالة
 ، ط٢ ، ١٩٨٤ ، بيروت - لبنان .
 (١٩) نظرات في تطور الدلالة المعجمية :
 . ٤٢٥ .
 (٢٠) التاج (شيب) ١٧٤/٣ .
 (٢١) اللسان (أني) وينظر: معجم العامي
 والدخيل للشيخ رشيد رضا : ١٨ ،
 ط١ ، ١٩٥٦ .
- في اللهجات العربية ، ابراهيم انيس ،
 مطبعة القاهرة .
 – كتاب الاختيارين ، الاخفش الاوسط
 ، تحقيق فخر الدين قباوة ، مؤسسة
 الرسالة ط٢ ١٩٨٤ بيروت لبنان .
 – لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي
 جمال الدين بن منظور (٧١١هـ) دار
 صادر ، ط٢ بيروت ١٤١٤هـ .
 – معجم الالفاظ العامية ذات الحقيقة
 والاصول العربية ، د. عبد المنعم سيد
 عبد العال ط٢ مكتبة الخانجي .
 – معجم العامي والدخيل للشيخ رشيد
 رضا ، ط١ ، ١٩٥٦ م .

- لإحدهم : ولّي فهذا اللفظ يكون
 مدعاة للغضب والتوتر في المواقف
 الخطائية المختلفة .
 ٥. إن الكلم العامي الفصح النجار
 له ما يتعلق بالموروث الشعبي
 للمجتمعات فدراسته حتما ستقود
 إلى فهم كثير من مظاهر ذلك
 الموروث، واستيعابه واللغة هي التي
 ضمنت ذلك .
 ٦. إن هذا النحو من الدراسة يرمي
 إلى ربط المستويات الخطائية التي
 يتعاطاها مستعملو اللغة في عربيتنا
 المعاصرة .

المصادر:

- الهوامش:
- (١) في اللهجات العربية ، أنيس : ١٦ .
 (٢) درس تاريخي في العربية المحكية : ٩ .
 (٣) ينظر: معجم الألفاظ العامية ذات
 الحقيقة : ٤ .
 (٤) نفسه : ٤ .
 (٥) ينظر: درس في تاريخ العربية المحكية
 : ١٢ .
 (٦) ينظر: تطور الدلالة المعجمية بين
 العامي والفصح ٢٤/١ .
 (٧) ينظر: تطور الدلالة المعجمية ٢٤/١ .
 (٨) ينظر: نفسه ٢/
 (٩) الاتقان ١٢٩/٢ .
 (١٠) تاج العروس (همش) ٤٦٦/١٧ .
 (١١) ينظر : المعجمية بين العامي
 والفصح : ٢٤١ .
 (١٢) التاج (جعس) ٥٠٢/١٥ .
 (١٣) ينظر: الصحاح ٧٧٤/٢ .
 (١٤) ينظر: المحكم (جعس) ١٧٨/١ .
 (١٥) ينظر: نظرات في تطور الدلالة :
 . ٤٠٦
- القران الكريم
 – الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين
 السيوطي المتوفى ٩١١هـ تحقيق
 محمد ابو الفضل ابراهيم ، الهيئة
 المصرية العامة للكتب
 – تاج العروس من جواهر القاموس
 ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق
 الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي
 (١٢٠٥هـ) تحقيق مجموعة من
 المحققين دار الهدية .
 – تطور الدلالة المعجمية بين العامي
 والفصح ، د. عبد الله الجبوري ،
 ط١ ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد
 ، ٢٠٠٤ م .
 – دراسات في الالفاظ الموصلية
 ، د. حازم البكري ، ط١ مطبعة اسعد
 ، بغداد .
 – درس تاريخي في العربية المحكية ، د.
 ابراهيم السامرائي ط١ عالم الكتب
 مصر .